﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ [ص: 69 - 70]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

تعقيبُ الدَّعوى بالدَّليلِ على صحَّتِها

لمّا أخبرَ ﷺ بنبوَّتِه، وقصَرَ نفسَه الشَّريفةَ على الإنذار؛ كذَّبوه، وعانَدوه، فجاءت هاتانِ الآيتانِ للتَّدليل على صِدقِه، واحتجَّ لصحَّة نبوَّته بالإخبارِ بأمرٍ لا يُعلَمُ إلّا مِنْ طريقِ الوحيِ[1]، فلمّا أخبرَ عن النَّبأِ العظيمِ؛ احتجَّ لصِدْقِهِ بالإخبارِ بأمرٍ غيبيٍّ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلْمَلَإِ﴾: (ملأ) أصلٌ يدلُّ على المُساواة والكمال في الشَّيء، ومنه ملأتُ الشَّيءَ أملؤه مَلْئًا، والملءُ مقدارُ الذي يُملَأ، سُمّيَ ملئًا؛ لأنَّه مساوٍ لوعائه في قَدرِه، والملأُ: الأشرافُ، سُمّوا بذلكَ؛ لأنَّهم مُلِئوا كرمًا وشرفًا[3]، أو لأنَّهم يملؤونَ القُلوبَ هَيْبةً، والعُيونَ جلالةً[4]، أو هو جماعةٌ يجتمعونَ على رأيٍ، فيملؤونَ العُيونَ رواءً ومنظرًا، والنُّفوسَ بَهاءً وجلالًا، ويقالُ: صرتُ مِنْ مَلَئِهِ، أي: جَمْعِهِ[5]، والمرادُ بالملأِ الأعلى هنا: الملائكةُ[6]، أو الملائكةُ وآدمُ وإبليسُ[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

النَّبيُّ لا يعلمُ إلّا ما علَّمَهُ ربُّهُ

يقولُ اللهُ تعالى لنبيِّهِ ﷺ: قلْ لمشركي العرب: ما كانَ لي مِنْ علمٍ - لولا تعليمُ اللهِ إيّايَ - باختصامِ الملأِ الأعلى وقتَ قولِ بعضهم

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 104، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 163، والبقاعي، نظم الدرر: 16/ 416.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 513، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 296.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ملي).
(4) السمين، عمدة الحفاظ: (ملأ).
(5) الراغب، المفردات: (ملأ).
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 34.
(7) الزمخشري، الكشاف: 4/ 104.

لبعضٍ واختصامِهم في شأن آدم، ولا بما كان بينَ آدمَ وإبليسَ بما يُشبِه الاختصامَ من امتناعِه عن السُّجود له، وتعليلِه ذلك بقوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾؛ بل ما علمتُ ذلك إلّا بالوحي، ولم يوحَ إليَّ علمُ ما لم أكنْ أعلمُه إلّا لأنّي نبيٌّ مرسَلٌ إليكم لأبلِّغَكم شرْعَ ربِّكم، ولأُنذِرَكم عذابَه إن كفرتم.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآية:

الإنباءُ لا يكونُ إلّا بوحيٍ من الله

فُصِلَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافٌ مَسوقٌ لتحقيقِ أنَّ القرآن وما ذُكِرَ فيه نبأٌ عظيمٌ واردٌ مِنْ جهتِهِ تعالى، بذكرِ نبأٍ مِنْ أنبائِهِ على التَّفصيلِ، مِنْ غيرِ سابقةِ معرفةٍ به، فإنَّ ذلكَ حجَّةٌ بيِّنةٌ دالَّةٌ على أنَّ ذلكَ بطريقِ الوحي، وأنَّ سائرَ أنبائِهِ أيضًا كذلكَ[1].

نكتةُ ذكرِ ﴿كَانَ﴾ بصيغةِ الماضي:

ما كانَ غيبًا عن رسول الله صارَ معلومًا بالوَحْي

ذُكِرَ فعلُ الكَون في قولِ اللهِ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ المنفيَّ علمُهُ فيما مضَى مِنَ الزَّمنِ قبلَ أنْ يوحَى إليه، ثمَّ صار بالوحي معلومًا[2]، ونفيُ العلم بالنَّبأ قبل الوحي إليه هو محلُّ الاستدلالِ على أنَّ النَّبأ العظيمَ واردٌ مِنْ جهتِهِ تعالى.

دلالةُ اللّامِ في ﴿لِيَ﴾:

اختصاص الله رسوله بعلم ما يوحَى إليه من الغيب

اللّامُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ﴾ للملْكِ والاختصاصِ، فتفيدُ أنَّهُ ﷺ لم يكنْ يملكُ علمًا بهذا النَّبأ قبلَ الوحي، فأفادتِ اللّامُ افتقارَهُ لتعليمِ اللهِ تعالى، وأفادَتْ أيضًا أنَّ العلمَ نفيسٌ يختصُّ اللهُ به رسولَه، ولا سيَّما ما يتعلَّق بعلم الغيب، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: 26 - 27].

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 234، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 508.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 297.

غرضُ تقديمِ شِبهِ الجملة ﴿لِيَ﴾:

النَّبيُّ مُعلَّمٌ مِنْ ربِّهِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿لِيَ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ﴾ للاهتمامِ بالمُقدَّم، وللتَّشويقِ إلى المُؤخَّرِ، وللمسارعةِ إلى نفيِ حيازته ﷺ للعلمِ بالنَّبأِ قبلَ أن يوحَى إليه، وفي ذلكَ مزيدُ ملاءمةٍ لمقامِ التَّنصيصِ على أنَّهُ لا سبيلَ للعلمِ بالأمورِ الغيبيَّةِ إلّا الوحيُ.

دلالة ﴿مِنْ﴾:

انتفاءُ العلمِ بالنَّبأِ قبلَ الوحيِ انتفاءً مُؤكَّدًا

حرفُ الجرِّ ﴿مِنْ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ﴾ صلةٌ لتأكيدِ النَّفيِ المستفادِ مِنْ ﴿مَا﴾، أي: (ما كانَ ليَ مِنْ علمٍ مِنْ جهةِ أحدٍ مِنَ النّاسِ)[1]، ومقامُ المبالغةِ في نفيِ العلمِ بالنَّبأِ مِنْ غيرِ جهتِهِ تعالى يقتضي إيرادَ هذهِ الصِّلةِ.

نكتةُ تنكيرِ ﴿عِلْمٍ﴾:

انتفاءُ العلمِ بالنَّبأِ قبلَ الوحيِ مِنْ جميعِ الوجوهِ

تنكيرُ لفظِ العلمِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ﴾ للعمومِ؛ لأنَّ النَّكرةَ في سياقِ النَّفيِ تفيدُ العمومَ، أي: (ما كانَ ليَ أيُّ علمٍ بوجهٍ مِنَ الوجوهِ)[2]، فالأبوابُ موصَدةٌ دونَ هذا العلمِ، ولا سبيلَ إليهِ إلّا الوحيُ الصّادقُ إلى النَّبيِّ الأمينِ ﷺ.

سرُّ التَّعبيرِ بالعلمِ:

العلمُ بالغيبِ من دون وحيٍ منفيٌّ جملةً وتفصيلًا

عُبِّرَ بالعلمِ دونَ المعرفةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ لأنَّ العلمَ أعمُّ، فالمعرفةُ علمٌ بعينِ الشَّيءِ مُفصَّلًا عمّا سواهُ، والعلمُ يكونُ مُجمَلًا ومُفصَّلًا[3]، ونفيُ الأعمِّ هنا أبلغُ؛ لأنَّهُ يفيدُ نفيَ علمِهِ بالنَّبأِ قبلَ الوحيِ جملةً وتفصيلًا.

دلالةُ تعديةِ العلمِ بالباءِ:

تضمينُ العلمِ معنى الإحاطةِ

عُدّي العلمُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 416.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 234، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 508.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 500.

بالباءِ للنَّظرِ إلى معنى الإحاطةِ الَّتي تتعدَّى بالباءِ في نحوِ قولِكَ: أحطتُ بكذا[1]، وهذا التَّضمينُ شائعٌ استعمالُه في تعدية العلم، ويجوز على تفسير النَّبأ بخلق آدم وما جرى بعده أن تكون الباءُ ظرفيَّةً، أي: (ما كان لي علمٌ كائنٌ في الملأ الأعلى، وما كنت حاضرًا فيهم؛ إذْ يختصمون)، قريبًا من قوله تعالى فيما قصَّ عليه من نبأ موسى عليه السلام: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: 44][2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالملأِ:

التَّشريفُ والتَّعظيمُ للأغلَب

عُبِّرَ بالملأِ في قولِ اللهِ جلَّ ثناؤُه: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾؛ للدَّلالةِ على تشريفِ الملائكةِ وعُلوِّ شأنِهم وقَدْرِهم؛ لأنَّ الملأ هو الجمعُ العظيمُ الشَّريفُ[3]، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّهم يملؤون العيونَ رواءً، والنُّفوسَ جلالةً وبهاءً، وإنْ كانَ إبليسُ داخلًا هنا في إطلاقِ الملأِ؛ فالتَّشريفُ للمُعظَّم.

نكتةُ تعريفِ الملأِ:

الملائكةُ هم الملأُ الأعلى

تعريفُ الملأِ في قولِ اللهِ عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ للعهدِ؛ إذ المرادُ به - على الأظهرِ - الملائكةُ، بدليلِ وصفِه بالأعلى، وقد وردَ إطلاقُ الملأِ على الملائكة في الحديث القُدسيِّ: «وإن ذكَرني في ملَإٍ؛ ذكرتُه في ملَإٍ خيرٍ منهم»[4]، أو المرادُ به الملائكةُ وآدمُ وإبليسُ، وقد ذُكِرَ في القرآنِ نبأُ اختصامِهم، حتَّى صاروا معهودين.

بلاغةُ وصفِ الملأِ بالأعلى:

علوُّ درجةِ الملائكة مكانًا ومكانةً

وُصِفَ الملأُ بالأعلى في قولِ اللهِ جلَّ ذكرُه: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾؛ للدَّلالةِ على تمييزِ الملائكةِ عن الملأِ الأدنى مِنْ ناحيةِ المكانِ، وهم أهلُ الأرضِ، ولتشريفِهم بما تدلُّ عليه الصِّفةُ مِنْ

(1) السمين، الدر المصون: 9/ 395، والخفاجي، عناية القاضي: 7/ 318.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 298.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 446.
(4) صحيح البخاري، الحديث رقم: (7405)، وصحيح مسلم، الحديث رقم: (2675).

عُلوِّهم على غيرِهم[1]، إلّا مَنْ فضَّلَهُ اللّهُ عليهِم، فيفيدُ التَّعبيرُ عُلوَّ درجتِهم مكانًا ومكانةً، وإذا كانَ المرادُ بالملأِ الملائكةَ وآدمَ وإبليسَ، فالعُلوُّ حسّيٌّ؛ لأنَّهم كانوا في السَّماءِ عندَ الاختصامِ المذكورِ[2].

لطيفةٌ في وصفِ الملأِ بالمفردِ:

الملأُ بمنزلةِ شيءٍ واحدٍ

لفظُ الملأِ في قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ اسمُ جنسٍ، وليسَ اسمَ جمعٍ[3]، بدلالة وصفه بالمفردِ؛ لأنَّ اسمَ الجمع لا يوصَفُ بالمفرد، كما في قول الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: 10][4]، وفي هذا الوصفِ لطيفةٌ، وهي الإشارةُ إلى أنَّ الملائكةَ - وهم المرادُ بالملأِ على الأظهرِ - متَّفِقون في عُلوِّ رتبةِ الطّاعةِ، كأنَّهم شيءٌ واحدٌ[5].

نكتةُ حذفِ مُتعلَّقِ الظَّرفِ ﴿إِذْ﴾:

انتفاءُ علمِ النَّبيِّ بأحوالِ الملأِ الأعلى قبل أن يوحَى إليه نبَؤُها

الظَّرفُ ﴿إِذْ﴾ في قولِ اللّهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ، والتَّقديرُ: (ما كانَ لي مِنْ علمٍ بحالِ الملأِ الأعلى وقتَ اختصامِهم)[6]، فإنَّ علمَهُ ﷺ غيرُ مقصورٍ على ما جرَى بينَهم مِنَ الأقوالِ فقط، بل عامٌّ لها وللأفعالِ أيضًا، مِن سجودِ الملائكةِ، واستكبارِ إبليسَ وكفرِهِ، فلذا عُدَّ العمومُ في النَّفْيِ أيضًا[7]، ففي الكلامِ إيجازٌ بالحذفِ، ويحتملُ تعلُّقُ الظَّرفِ بـ ﴿عِلْمٍ﴾[8]، وعليهِ فلا حذفَ.

بلاغة الاستعارة في الاختصام:

الاختصامُ مستعارٌ للتَّقاولِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 298.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 211.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 318.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 446.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 416.
(6) الزمخشري، الكشاف: 4/ 104.
(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 234، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 211.
(8) السمين، الدر المصون: 9/ 396.

استعارةٌ بديعةٌ، وذلكَ أنَّهُ ليسَ المرادُ بالاختصامِ معناهُ المعروفَ، بل المرادُ بهِ التَّقاولُ[1]، شُبِّهَ بالتَّخاصُمِ مِنْ حيثُ إنَّ في كلٍّ منهما سؤالًا وجوابًا[2]، فقوله تعالى: ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ لـ (يتقاوَلونَ)[3].

نكتةُ صيغةِ الافتعالِ:

إبرازُ اشتراكِ الملأِ الأعلى في الأمر

عُبِّرَ عن الاختصام بصيغةِ الافتعالِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾؛ للمبالغةِ في هذا الأمرِ الَّذي جرَى في الملأِ الأعلى[4]، فكلٌّ منهُم يخاصمُ الآخرَ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾:

استحضارُ صورةِ الاختصامِ الغريبةِ

آثر القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بصيغة المضارع من فعل الاختصام في قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، مع أنَّ الظّاهرَ أنْ يُقالَ: (إذِ اختصموا)؛ لأنَّ هذا الاختصامَ أمرٌ قد مضَى، لكنْ عُبِّرَ لحكاية الحالِ الماضية بصيغةِ المضارعِ مِن أجل استحضارِها[5]، ويجوز أن يكون المرادُ اختصامَ الطّاغينَ وأتباعِهم في النّارِ بينَ يدَي الملأِ الأعلى - أي: ملائكةِ النّارِ، أو ملائكةِ المحشرِ - فالمضارعُ على أصلِهِ مِنَ الاستقبالِ[6]، وفي صيغةِ المضارعِ أيضًا مراعاةٌ للفاصلةِ.

دلالةُ جمعِ الضَّميرِ في ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾:

المختصمونَ جماعةُ الملائكة، أو جماعةُ أهلِ النّار

جُمِعَ الضَّميرُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، وهو راجعٌ إلى الملأِ للتَّنصيصِ على أنَّ المختصمينَ

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 446.
(2) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 5/ 607.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 8/ 272.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 298.
(5) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 316، والخفاجي، عناية القاضي: 7/ 318.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 298.

جماعةٌ؛ لئلّا يُظَنَّ حقيقةُ الوحدةِ بعدَ إفرادِ وصفِه ﴿ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾[1]، أو هو راجعٌ إلى أهل النّار من الطّاغين وأتباعهم[2].

سرُّ فصلِ الآية:

ما كان علمُ النبيّ ﷺ إلّا بوحيٍ من الله

فُصِل قولُ الله تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّ هذه الجملةَ مبيِّنةٌ لجملة: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، أي: (ما علمت ذلك النَّبأ إلّا بوحيٍ مِنَ الله)، فالفصل لكمال الاتِّصال[3].

ويحتمل أن تكون الجملةُ اعتراضًا بينَ إجمالِ اختصامِهم وتفصيلِهِ المُبتدَأ بقولِهِ تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾، تقريرًا لثبوتِ علمِهِ ﷺ، وتعيينًا لسببِهِ، وهو الوحيُ[4].

بلاغةُ أسلوب القصر:

النَّبيُّ نذيرٌ لا ساحرٌ ولا مجنونٌ

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ طريقانِ للقصرِ: أحدُهما طريقُ النَّفي والاستثناءِ، والآخرُ طريقُ ﴿أَنَّمَآ﴾ المفتوحةِ الهمزةِ أو المكسورةِ (إنَّما)[5]، فأفادتِ الآيةُ حصْرَ حكمةِ ما يأتيهِ ﷺ مِنَ الوحيِ في حصولِ الإنذارِ، وحصْرَ صفةِ الرَّسولِ ﷺ في صفةِ النِّذارةِ، ويستلزمُ هذانِ الحصرانِ حصرًا ثالثًا، وهو أنَّ أخبارَ القرآنِ وحيٌ مِنَ اللهِ، وليسَتْ أساطيرَ الأوَّلينَ كما زعمَ الكفرةُ، فحصلَ في الآيةِ ثلاثةُ حُصورٍ: اثنانِ منها بصريحِ اللَّفظِ، والثّالثُ بكنايةِ الكلامِ، وهذهِ الحُصورُ: اثنانِ منها إضافيّانِ، وهما قصرُ ما يوحَى إليهِ على علَّةِ النِّذارةِ، وقصرُ الرَّسولِ ﷺ على صفةِ النِّذارةِ، وكلاهما قلبٌ لاعتقادِهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 416.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 298.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 298.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 235، والشوكاني، فتح القدير: 23/ 298.
(5) ابن الجزري، النشر: 2/ 362.

أنَّهم يسمعونَ القرآنَ؛ ليتَّخذوهُ لعبًا، واعتقادِهم أنَّ الرَّسولَ ﷺ ساحرٌ أو مجنونٌ[1].

النَّبيُّ لا يقدرُ على تعجيلِ العذابِ

ويجوز توجيهُ قصرِ النَّبيِّ ﷺ على صفة النِّذارة في قول الله تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بأنَّه قلبٌ لإنكار المشركين وتعنُّتِهم، وردٌّ على ادِّعائِهم وتَحَدّيهم، حينَ قالوا له: إنَّك، مِثلَ ما أوحيَ إليكَ بعلمِ ما لم تكنْ تعلمُ، يوحَى إليكَ بالقدرةِ على ما لم تكنْ تقدرُ عليه، فعجِّلْ لنا الموتَ ثمَّ البعثَ! لنرَى ما أخبرتَنا به، لعلَّنا نُصدِّقُكَ فيما أتيتَ به، فأجابَهم اللهُ بقصرِ الوحيِ على النِّذارةِ، وهي إبلاغُ ما أُنزِلَ إليه، لا تعجيلُ شيءٍ ممّا تُوعِّدوا به[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالوحي:

الوحيُ مِنْ دلائلِ النُّبوَّةِ

عُبِّرَ بالوحي في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ لِما تدلُّ عليه هذه الكلمةُ مِنْ حصولِ العلمِ في خفاءٍ، وهو يلائمُ مقامَ اختصاصِ النَّبيِّ ﷺ بإيحاءِ اللهِ إليه؛ لأنَّ هذا العلمَ الحاصلَ لهُ لا يشاركُهُ فيه غيرُهُ، وفي ذلكَ تشريفٌ لهُ، وتقويةٌ لمقامِ الاستدلالِ على نبوَّتِه.

بلاغةُ صيغةِ المضارعِ ﴿يُوحَىٰٓ﴾:

الوحيُ تأييدٌ للنَّبيِّ على الاستمرارِ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ لفعلِ الإيحاءِ من قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ للدَّلالةِ على الاستمرارِ والتَّجدُّدِ[3]، أي: (شأنُ النَّبيِّ ﷺ على الاستمرارِ أنْ يوحَى إليه ما فيه إنذارٌ للمُعرِضينَ المُكذِّبينَ، ودعوةٌ إلى الخيرِ والرَّشادِ، وليسَ شأنُهُ ما يتَّهمونَهُ به مِنَ الكذبِ والسِّحرِ والجنونِ ونحوِ ذلكَ)، وفي هذه الصّيغةِ أيضًا إشارةٌ إلى حاجةِ النَّبيِّ ﷺ المُتجدِّدةِ إلى الوحيِ مِنَ اللهِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 299 - 300.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 417.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 417.

نكتةُ البناءِ للمفعولِ:

المـوحـي هـو اللهُ ﷻ أعـرَفُ المَعارِف

بُنِيَ فعلُ الإيحاء في قول الله تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ لِما لم يُسمَّ فاعلُه لأجل العلم بالفاعلِ، وهو اللهُ ﷻ، وفي ذلكَ تفخيمٌ لشأنِهِ، ببيانِ أنَّ هذا الفعلَ لا يُتصوَّرُ مِنْ غيرِهِ، فلا حاجةَ إلى ذكرِ فاعلِهِ.

دلالةُ التَّعبير بـ (إلى):

آثر القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بحرف الجرِّ (إلى) في قولِ اللهِ تعالى شأنُهُ: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ لأنَّها لانتهاءِ الغايةِ، فتفيدُ أنَّ مُنتهَى الوحيِ هو النَّبيُّ ﷺ؛ إذ هو المأمورُ بتبليغِهِ.

دلالة تقديمِ شِبهِ الجملة ﴿إِلَيَّ﴾:

الـوحـيُ للنَّبيِّ محـطُّ العنايةِ والاهتمامِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿إِلَيَّ﴾ في قولِ اللهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: للعنايةِ بكونِ الوحيِ للنَّبيِّ ﷺ، ولأنَّ في ما بعدَهُ طولًا؛ ولو أُخِّرَ ﴿إِلَيَّ﴾ لفاتَ تجاوُبُ أطرافِ النَّظمِ، وحُسْنُ انتظامِهِ، ولضاعَ تلاؤمُ الفواصلِ.

توجيهُ القراءاتِ في ﴿أَنَّمَآ﴾:

القـصـرُ حاصلٌ على القراءتينِ

اختلف القرّاءُ في قول الله تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، فقرأ أبو جعفرٍ (إنَّما) بكسرِ الهمزةِ، وقرأ الباقونَ ﴿أَنَّمَآ﴾ بفتحِها[1]، أمّا قراءةُ الكسرِ؛ فهي على الحكايةِ، أي: (ما يوحَى إليَّ إلّا هذا القولُ، وهو أنْ أقولَ لكم: إنَّما أنا نذيرٌ مبينٌ، ولا أدَّعي شيئًا آخرَ).

وأمّا قراءةُ الفتحِ؛ فهي على تقديرِ لامِ جرٍّ داخلةٍ على ﴿أَنَّمَآ﴾، والمعنى: (ما يوحَى إليَّ إلّا لأنَّما أنا نذيرٌ)، أي: (ما يوحَى إليَّ إلّا لعلَّة الإنذارِ)، فحُذِفَتِ اللّامُ، وانتصبَ ما بعدَها على نزعِ الخافضِ، ونُزِّلَ فعلُ (يوحَى) منزلةَ اللّازمِ، أي: (ما يوحَى إليَّ وحيٌ)، فلا يُقدَّرُ لهُ

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 362.

مفعولٌ، ويجوزُ أنْ يرتفعَ ﴿أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ على معنى: (ما يوحَى إليَّ إلّا هذا، وهو أنْ أُنذِرَ، وأُبلِّغَ، وليسَ إليَّ غيرُ ذلكَ)، وعليهِ فلا يُنزَّلُ (يوحَى) منزلةَ اللّازمِ[1]، والقصرُ حاصلٌ على القراءتينِ.

نكتةُ تنكيرِ ﴿نَذِيرٌ﴾:

تعظيم شأنه ﷺ

تنكيرُ ﴿نَذِيرٌ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ للإفرادِ، أي: (إنَّما أنا فردٌ مِنْ أفرادِ المكلَّفين بالنِّذارة، مُندرجٌ في زُمْرةِ الأنبياءِ المُنذِرينَ)، ويحتملُ أنْ يكونَ للتَّعظيمِ، أي: (إنَّما أنا نذيرٌ عظيمُ الشَّأنِ، فينبغي عليكم أنْ تتَّبعوني).

نكتةُ إطلاقِ النَّذير:

إفادةُ العمومِ لِتَذهبَ النَّفسُ في تقديرِه كُلَّ مَذهَب

أُطلِقَ لفظُ النَّذير في قولِ للهِ ﷻ: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، ولم يُذكَرِ المُنذَرُ ولا المُنذَرُ بهِ؛ لظهورِهِ مِنَ السّياقِ؛ إذ المُنذَرونَ هم كفّارُ قريشٍ ومَنْ على شاكلتِهم، والمُنذَرُ بهِ هو عقابُ اللهِ تعالى، وفي الإطلاقِ تفخيمٌ لشأنِ المُنذَرِ بهِ وتعظيمٌ لهُ؛ لتذهبَ النَّفسُ في تقديرِهِ كلَّ مذهبٍ ممكنٍ.

سرُّ التَّعبيرِ بالنَّذيرِ:

يقتضي مقامُ التَّهديدِ المبالغةَ في الإنذارِ

عُبِّرَ بصيغةِ المبالغةِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، ولم يقل: (مُنذِرٌ) بصيغةِ اسمِ الفاعلِ؛ لأنَّ الإنذارَ أبلغُ في ردِّ المخالِفِ ورَدْعِهِ، وذلكَ يستدعي المبالغةَ المُستلزِمةَ للتَّكثيرِ، وهو مُقتضَى صيغةِ (فعيلٍ)، وفي استعمالِ اسمِ الفاعلِ دون الفعلِ المُضارِعِ (أُنذِر) دلالةٌ على ثبوتِ نذارتِه ودوامِها لكلِّ المعاندينَ والجاحدينَ.

سرُّ الاقتصارِ على النِّذارةِ:

خُصَّ الإنذارُ بالذِّكرِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 104، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 298.

لا يليقُ بالمشركينَ إلّا الإنذارُ

﴿أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ لأنَّ الكلامَ معَ المشركينَ[1]، وهؤلاءِ لا يليقُ بهم إلّا الإنذارُ، لعلَّهم يرتدعونَ عمّا هم عليهِ مِنَ الكفرِ، وإلّا فالنَّبيُّ ﷺ نذيرٌ وبشيرٌ، ويجوز أنْ يكونَ مِن بابِ الاكتفاء، كما في قولِ اللّه تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: 81]، والتقدير: (والبَرْدَ).

بلاغةُ وصفِ النَّذيرِ بالمُبينِ:

النَّبيُّ ﷺ أحرصُ النّاسِ على تبليغِ الدَّعوةِ للمُعانِدين

وُصِفَ النَّذيرُ بالمُبينِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّهُ ﷺ لا يُقصِّرُ في تبليغِ ما أُمِرَ بهِ، ولا يَدَعُ لَبْسًا فيما يُبلِّغُهُ بوجهٍ مِنَ الوجوهِ[2]، وفي ذلكَ مدحٌ لهُ ﷺ، وإقامةٌ للحجَّةِ على مخالفيهِ الَّذينَ يحاربونَ الحقَّ الواضحَ.

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 319.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 418.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»